

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

تمثلات النزعة الاجتماعية في أعمال أحمد مراد الروائية

— بين الواقعية النقدية و التشظي المجتمعي —

**Representations of Social Consciousness in Ahmed Morad's Novels
-between Critical Realism and Shards of a Fragmented Society-**

د . سارة مريقي *

جامعة عمار ثليجي ، (الأغواط)، s.merigui@lagh-univ.dz، مخبر علوم اللسان

تاريخ النشر 2025/09/01

تاريخ القبول: 2025/07/01

تاريخ ارسال المقال: 2025/06/01

*المؤلف المرسل

الملخص:

يتناول هذا البحث تحليلات النزعة الاجتماعية في أدب الروائي المصري أحمد مراد ، من خلال تحليل عدد من رواياته مثل ترتب الماس ، الفيل الأزرق ، 1919 ، وفيرتيجو ، يستند البحث إلى مقاربات تحليل الخطاب ، والنقد السوسيولوجي ، للوقوف على كيفية توظيف مراد للحبكة البوليسية و النفسية و التاريخية كوسائط فنية لنقد البنية الاجتماعية المصرية ، يهدف البحث إلى بيان أن مراد لا يكتفي بإنتاج سرد تشويقي ، بل يستخدم تقنياته الروائية في نقد النظام الاجتماعي و السياسي ، متناولا قضايا مثل العدالة ، الفساد ، الطبقة ، الاغتراب ، الانتماء .

الكلمات المفتاحية: النزعة الاجتماعية ; احمد مراد ; الطبقة ; الأخلاق .

Abstract :

This paper explores the manifestations of social inclination in the literary works of Egyptian novelist Ahmed Mourad , through an analytical reading of several of his novels Diamond Dust , The Blue Elephant , 1919 , and Vertigo, the study adopts discourse analysis and sociological literary criticism to investigate how Mourad employs psychological , historical , and crime narratives as artistic frameworks for critiquing Egypt's social structure , the study argues that Mourad transcends mere entertainment or suspense , instead embedding a sharp social critique that tackles issues such as institutional corruption , class disparity , alienation, and the erosion of justice and belonging in contemporary Egyptian society .

Keywords social engagement , Ahmed Mourad , class stratification , Morality.

مقدمة:

شهد الأدب العربي المعاصر تحولات ملحوظة ، لاسيما بعد ثورات "الربيع العربي" حيث بدأ عدد متزايد من الكتاب في مراجعة علاقة الأدب بالواقع ، والبحث عن لغة سردية قادرة على تفكيك البنى الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية التي تحكم الواقع العربي ، وضمن هذا السياق تبرز تجربة الكاتب المصري أحمد مراد بوصفها واحدة من التجارب التي جمعت بين جاذبية الشكل الفني و عمق المضمون الاجتماعي .

تعد الأعمال الروائية للسينارست المصري أحمد مراد من أبرز الظواهر الأدبية المعاصرة في الساحة العربية ، إذ استطاع أن يجذب ويستقطب شريحة واسعة من القراء سواء على الصعيد العربي أو العالمي ، ومرجع ذلك أسلوبه السينمائي الجذاب ولغته السردية البسيطة و المشوقة ، إلا أن ما يميز كتاباته ، بعيدا عن عنصر التشويق و الإثارة هو الحضور القوي و الملموس للنزعة الاجتماعية التي تتغلغل و تندمج في نسيج رواياته ، فتمنحها بعدا نقديا يتجاوز مجرد التسلية .

رغم أن أعمال أحمد مراد وعلى رأسها "فيرتيجو" ، "تراب الماس" ، "الفيل الأزرق" ، "1919" غالبا ما تصنف ضمن الأدب البوليسي ، فإن القراءة المتأنية تكشف عن نزعة اجتماعية واضحة توجه البنية السردية و تعيد طرح أسئلة الهوية ، الطبقية ، السلطة و المقاومة ، فمراد لا يكتفي ببناء حبكة مشوقة ، بل يدخل القارئ إلى قلب الواقع المصري ، ويعرض مفارقات مجتمعية تحاكي اللامرئي الاجتماعي .

تنطلق هذه الدراسة من تساؤل رئيس : كيف توظف النزعة الاجتماعية في أعمال أحمد مراد ، وما مدى إسهامها في بناء خطاب أدبي نقدي يعكس أزمات المجتمع المصري المعاصر ؟
يهدف هذا المقال إلى :

- 1 - تحليل ملامح الخطاب الاجتماعي في أبرز روايات أحمد مراد .
 - 2- تحديد أدوات السرد التي يعتمد عليها الكاتب في تمرير رؤاه الاجتماعية .
 - 3- فهم العلاقة بين الأدب و الواقع كما تتجلى في تمثيل الفوارق الطبقية ، السلطة ، الهوية الوطنية .
 - 4- تقييم مدى وعي الكاتب بالمجتمع كمسألة سردية لا كخلفية للأحداث فقط .
- كما أننا نعتمد في هذا المقال على المنهج السوسيولوجي في النقد الأدبي بوصفه الأداة الأنسب لتحليل العلاقة بين النصوص الأدبية و البنية الاجتماعية التي أنتجتها .

1- الطبقة الاجتماعية كإطار سردي :

تعد الطبقة الاجتماعية من أبرز القضايا التي تشكل بنية تحتية لروايات أحمد مراد ، لا باعتبارها عنصرا موضوعيا سطحيا فقط ، بل كإطار سردي تأويلي يؤثر في بناء الشخصيات ويحدد العلاقات بينهم ، وتوجيه مسارات الحدث ، وتشكيل الصراع ، فمراد يتعامل مع التفاوت الطبقي لا كمجرد واقع مفروض وتصنيفات اقتصادية ، بل كبنية أنساق متشابكة تنتج انقسامات ، وتعيد إنتاج العنف الرمزي و المادي ، وتحدد الأبطال داخل الحقل السردية .

1-1- تراب الماس ... الصراع الطبقي كمولد للجريمة :

تتجلى الطبقيّة في شخصية "طه الزهار" حيث يقدمها مراد كممثل للطبقة الوسطى المنهكة و المتآكلة التي تمارس عليها الطبقة العليا شكلا من أشكال العزل الرمزي ، طه موظف في صيدلية يعيش حياة رتيبة ، يعاني من الانكسار الصامت في ظل مجتمع يحتقر من هم على شاكلته ، وتبدو علاقاته محدودة و رغباته مكبوتة "كان ((طه)) يعرف عمله جيدا ، لم تكن قاعدة لتفوته اشتهر بين زملائه و رؤساء العمل بأنه رجل المهام الصعبة"1 يحاط بمجموعة من الشخصيات ذات السلطة والثراء على النقيض من ذلك نرى عالم النخبة الذي يتحكم في الاقتصاد و السياسة ، فمراد لا يصرح كثيرا بخطاب مباشر عن الطبقيّة بل يمرر الرسائل عبر طاقة رمزية "باعتباره علامة دالة داخل النسيج الروائي، علاقات متعددة مع مجمل عناصر الكتابة الروائية ، فهو إلى جانب كونه يسم كل ما هو موجود بميسم خاص و مميز يحدد نوعية الأشياء ، من حيث دلالاتها الاجتماعية ونوعية تفكير الذات المستحضرة و الواصفة لها ، وتكوينها النفسي وانتماءاتها الطبقيّة"2 ، ويمارس سلطته عبر شبكة فساد متشابكة تستخدم أدوات الدولة و الإعلام لتأمين مصالحها ، من هنا تنكشف العلاقة الطبقيّة "العلاقة الموجودة بين الرامز و الرموز له"3 عبر مفارقات السرد .

ترسم الفجوة الطبقيّة من خلال التناقض الصارخ يصف الشخصيات بين "طه الزهار" الصيدلي البسيط و"رجل النيابة" من ذوي النفوذ لذا نجد أن "الوصف ملازم للنشاط القصصي فمهما كانت الحكاية خالصة أوقصصية بحتة فإنها لا بد أن تشمل على ملاحظات بشأن الأشخاص بحيث يضعها في مكانها وتحدد ملامحها وتصف خصائصها في مجملها"4 .

رواية تراب الماس تقدم نقدا غير مباشر للصراع الطبقي من خلال اختلال ميزان السلطة و تواطؤ الطبقات العليا لحماية امتيازاتها ، فالرواية تسهم في تأملات أعمق حول المجتمع المصري المعاصر ، وتطرح أسئلة أخلاقية حول العدالة في سياق طبقي خفي لكنه مؤثر .

1-2- فيرتيجو ... الاستغلال الطبقي :

رواية فيرتيجو واحدة من أوائل الروايات التي اقتحمت عالم الجريمة في الأدب المصري الحديث ، لكنها تتجاوز حدود الإثارة لتكشف عن تشريح إجتماعي حاد لعلاقات السلطة و الطبقة .

في هذه الرواية يستخدم عالم الطبقة العليا كمرآة للفساد و الانحلال ، والبطل مصور يحارب من أجل كشف الحقيقة لأنه أصبح شاهدا على جريمة قتل ، كما جاء على لسان السارد " منذ سقط الحارس الاول ضغط أحمد بأصابعه على زر التصوير ولم يرفعه مسجلا آخر لقطة في حياة هشام فتحي حتى مرت الرصاصة بجانبه ، فأصابته أذنيه بأزيز أعقبه صمم مؤقت جعله يفيق من تركيزه في منظار الكاميرا "5 ، فهنا يظهر كيف تستخدم وسائل الإعلام كأداة لنقل الوقائع و الأحداث "فتتوقف اللقطة عند فعل الشخصية و حوارها وتقدم الشخصية نفسها بموضوعية معبرة بصدق عن أفكارها و مشاعرها ومواقفها من غير تدخل من الراوي"6 وهذا ليس ضعفا سرديا بل رؤية لجريمة ترتكب علنا تقريبا في فضاء يفترض أنه آمن ، لكن مرتكبيها يعلمون أن السلطة تحميهم .

هذه الرواية تقدم سردا بوليسيا مشوقا ، لكن تحت هذا القالب تختبئ رؤية للواقع الطبقي في مصر ، حيث يسلط أحمد مراد الضوء على بنية مجتمعية تشمل الاستغلال الطبقي من خلال الاقتصاد ، الإعلام ، و السلطة القضائية ، كاشفا كيف يحاصر الأفراد العاديون و يدفعون للهرب أو الصمت أمام قوة لا يمكن اختراقها ، وهذا ما يجعل من الرواية عملا أدبيا ذا بعد اجتماعي نقدي يتجاوز حدود النوع الأدبي إلى ما يشبه البيان ضد الاستلاب الطبقي ، وتكون غلافا لأطروحة اجتماعية عميقة .

يمكننا من خلال تتبع البناء السردى لأعمال أحمد مراد أن نلمس عدة قضايا اجتماعية نلخصها فيما يلي :

الرواية	القضية الاجتماعية الأساسية في السرد	الشخصية التي تمثلها
فيرتيجو	الفساد الطبقي و الإعلامي	أحمد كمال
تراب الماس	القهر الطبقي و العدالة الغائبة	طه الزهار
الفيل الأزرق	المرض النفسي و الهروب من المجتمع	د . يحي
1919	الاستعمار و الطبقي و الثورة الشعبية	عبد القادر الجن

2- سوسيولوجيا الجريمة والانحراف :

يمثل الأدب وسيلة فعالة لفهم البنية الاجتماعية و تحولاتها ، لاسيما حين يتقاطع مع موضوعات مثل الجريمة والانحراف ، وفي هذا السياق تبرز أعمال أحمد مراد الروائية أكثر من مجرد توظيف تقني لحبكة تشويقية ، بل يمثل آلية لكشف البنية المجتمعية المختلفة ، حيث يغدو الانحراف نتيجة منطقية لانهيار منظومة القيم ، وتآكل مؤسسات العدالة وتفكك الروابط الاجتماعية ، ومن هنا يمكن اعتماد مقاربات سوسيولوجية متعددة لفهم الجريمة نحصرها في :

1-2- الفيل الأزرق ... الانحراف ترجمة للتهميش :

في رواية الفيل الأزرق الانحراف ليس موضوعا روائيا بحثا ، بل أضحي بنية فلسفية ، كونها لغة ينطق بها المهتمش حين تعجز كل لغات العقل و المنطق و المجتمع عن استعابها ، ويتجسد في طريقة الكلام وبعض الحوارات لأنه "من خلال الحوار تتكون سمات الشخصية ، كما تكتسب المواقف قوة الإقناع لأن الشخصية الروائية تتحدد من خلال فعلها ورد فعلها" ⁷ ، فالرواية تضع القارئ في متاهة أخلاقية : هل يحي ضحية؟ أم مسؤول ؟ هل يرى الجن فعلا ؟ أم أنه مريض ؟ هل شريف مختل ؟ أم أنه نتاج منظومة فاسدة ؟ كما نلاحظه في قول السارد " وقبل أن تموت ((بسمه)) !هل ألقاها ؟ أم ألقيت نفسها ؟ فتحت عيني لما ظهرت كلمة النهاية في جفوني اختفى اللون الأزرق وكفت الحوائط عن النبض !لم أعد في المطبخ !!"⁸ .

أحمد مراد يرفض تقديم إجابات قاطعة بل يعتمد تزويب الحدود بين الجنون و العقل ، الجريمة و البراءة الانحراف والشرعية ، هذا النوع من المناجاة يظهر كيف يؤثر الانحراف الإدراكي على قدرة الشخصية على التفريق بين الواقع و الهلوسة ، ويجعل الحوار نفسه غير موثوق فيه ، مما يفاقم الإحساس باللايقين لشخصية البطل لأنها

"هي التي تعطي الحدث انطلاقة دينامية، وتدور حولها الأحداث من البداية إلى النهاية، فالبطل يكون فيها حاملا لفكر الراوي أو لما يدعو إليه"⁹.

رواية الفيل الأزرق مساحة سردية ثرية لفحص العلاقات المعقدة بين الذات الفردية و المجتمع خاصة أنها تكشف كيف أن الانحراف و التهميش ليسا ظاهرتين منفصلتين، بل متداخلتين في نسيج الحياة اليومية، والروائي لا يقدم شخصياته بوصفها ضحايا ولا مجرمين، بل بوصفها كائنات هشة تتأرجح بين العقل و الجنون، بين العلم و الخرافة، بين التمرکز و التهميش، وجعل من الانحراف لغة احتجاج صامتة من خلال الغوص في عالم ضد مجتمع لا يرى إلا واجهة، بينما التهميش يغلق أبواب النجاة أمام من يطلب المساعدة، وتطرح أسئلة وجودية تتعلق بالحقيقة.

أحمد مراد لا يعالج الانحراف بوصفه انحلالا أخلاقيا، بل بوصفه آلية هروب من واقع لا يطاق، ولا يكتفي بتقديم قصة إثارة نفسية، بل يطرح نقدا اجتماعيا و ثقافيا عميقا، من خلال شخصياته الروائية، وكأنه يقدم دعوة لإعادة التفكير في فهمنا للمتخلف، و المريض، و المنكسر و لكل من يسلك طرقا خارجة عن المألوف.

2-2- تراب الماس... النظام الفاسد مصنع لانتاج الجرمين :

الشخصيات التي يسقطها طه ليست عادية، بل تنتمي لمراكز قوى في الدولة كرجال الأعمال، سياسيون وحتى ضباط، كلهم محصنون بالقانون لكنهم متورطون في القتل والفساد، والابتزاز.

طه لا يبدو كرجل عنيف أو منحرف، بل كان في البداية ابن خجول، يعيش ضمن أسلوب حياة نمطي، لكن التراكم النفسي و الشعور بالالاجدوى، واكتشاف شبكة الفساد كلها تدفعه إلى عبور الخط الفاصل بين الطبيعي و المنحرف كما نلمس في قول السارد: "يجب عليه إتمام ما بدأه والده.. كان متأكدا من شيء واحد فقط حين أغلق النور و رفع النظارة المعظمة أمام عينيه بعدما اعتلى كرسي أبيه أن الحكم قد نفذ"¹⁰.

من هنا نجد أنفسنا أمام تساؤل مفاده: هل يمكن للانسان أن يظل بريئا في بيئة ملوثة بالكامل؟

هو لا يبرر الجريمة، لكنه يضع القارئ في حقل أخلاقي رمادي، حيث البطل ليس خيارا بالمعنى التقليدي بل مجرد فرد يحاول النجاة وتحقيق نوع من العدالة من وجهة نظره داخل النص السردى الذي يعد قبل كل شيء "بنية دالة تنتجها ذات ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنيات ثقافية و اجتماعية محددة"¹¹.

رواية تراب الماس تمثل نموذجا سرديا معقدا في تمثيل الجريمة والانحراف، إذ تحول الجريمة من مجرد حبكة إلى بنية تحليلية للمجتمع، وأصبح الروائي "فإن بؤرة همه تتعلق أساسا في صياغة البناء وتحسيد قوله في بنية فنية دالة"¹² وتحسد الفرد المنحرف لا كمريض أو شرير، بل كمنتج اجتماعي لواقع طالم، مغلق وفاسد.

فالجريمة هنا ليست انحرافا عن القاعدة، بل انعكاسا لبنية القاعدة ذاتها، التي تخفي في داخلها كل الشروط اللازمة لانفجار العنف، وانحيار الأخلاق وغياب العدالة، وأحمد مراد من خلال رواية تراب الماس جعل من الأحداث أداة لكشف الخلل في بنية المجتمع.

تقدم أعمال أحمد مراد نموذجا سرديا مميزا لتمثيل الجريمة و الانحراف، يتجاوز الطابع الترفيهي نحو رؤية نقدية للمجتمع المصري، تبرز هذه الأعمال كيف يعاد إنتاج الجريمة داخل بنيات السلطة و الطبقة، وتظهر الانحراف

كسلوك اجتماعي له جذور في المنظومة كلها وليس مجرد شذوذ فردي ، وعليه يمكن قراءة أعمال مراد كأدب سوسولوجي يقدم شهادة على التوترات البنيوية للمجتمع المعاصر .

3- التفسخ الأخلاقي في النسيج السردى :

حين نتحدث عن التفسخ الأخلاقي في أدب أحمد مراد ، لا يمكن أن نبقيه في حدود الحدث أو الرسالة فقط لأن ما يميز نصوصه خاصة الفيل الأزرق و تراب الماس و 1919 ، هو أن هذا التفسخ يتسرب إلى بنية السرد ذاتها إلى طريقة الكتابة و إلى البنية الزمنية و إلى تعدد الأصوات بل وحتى إلى شكل تطور الشخصيات .

3-1 - تلاشي المرجعية الأخلاقية الموحدة (تعدد الأصوات و الرؤى) :

تعدد الأصوات هو أحد أبرز الخصائص السردية التي يمكن دراستها في الرواية العربية لأن "اللغة لا تتحقق وهي مفصولة عن تعدد الأصوات و الرؤيات و المواقع وعن الطابع الحوارى لمجموع النص"¹³ ، و يشتهر أحمد مراد بقدرته على خلق عوالم سردية متشابكة ، تتعدد فيها الأصوات وتتنوع فيها المواقف الأخلاقية ، مما يفتح المجال لتأويلات متعددة حول القيم و الشر و الخير و العدالة ، لا يقدم مراد صوتا أخلاقيا مركزيا بل يفسح المجال لتعدد الأصوات التي تعبر عن وجهات نظر متضادة أحيانا ، مما يعكس رؤية ما بعد حداثة للواقع الأخلاقى . السارد في روايات أحمد مراد ليس محايدا ، ففي الفيل الأزرق البطل ذاته يروي ، لكنه يعترف مرارا بعدم يقينه فيدخل في حالة من انفصام الهوية السردية .

وفي 1919 تتعدد الأصوات مثل (نرجس ، عبد القادر ، ورد) كل منهم يقدم واقعا مختلفا و موقفا أخلاقيا خاصا لأن " الشخصية شبيهة بالصوت في اللغة لا يمكن أن تعرف طبيعته إلا من خلال مجمل الأصوات المخالفة له أو المتماثلة معه "¹⁴ ، فتعرض الرواية الدعارة ، الخيانة ، والعنف في يد القوى الاستعمارية ، ويصبح الإنسان وسيلة لا غاية .

هنا يظهر تقاطع التفسخ الأخلاقى مع بنية السرد التعددى ، إذ لا تمنح الحقيقة لأحد ، بل تقسم وتحرف وتروى بعيون ملوثة ، كما أن أحمد مراد لا يمجّد التفسخ الأخلاقى ، بل يستخدمه كعدسة لقراءة الواقع ، وكأداة سردية لتفكيك البنى الاجتماعية و السياسية ، فأخلاق الشخصيات في رواياته ليست معطى ثابتا بل نتيجة سياقات نفسية و اجتماعية معقدة ، ومن هنا تتجلى نزعة تعدد الرؤى والتي تضع القارئ أمام مرآة المجتمع .

3-2 - اللغة مخدرة أخلاقيا :

أحمد مراد يستخدم لغة وصفية عقلانية أحيانا ، وجمالية باردة أحيانا أخرى ، فحين يصف جريمة ، لا يقحم موقفا أخلاقيا مباشرا بل يترك للغة أن تجسد الفعل ، مجردا من التقييم كونها "اختيارا فنيا في رسم الشخصيات التي تنفصل عن تلفظاتها ، على هذا يعيد خلق روايته من خلال تحوير الشفوي إلى لغة شفوية مكتوبة من خلال تجاوز و تعارض عدة مستويات من الصياغة اللغوية "¹⁵ .

عندما تنهار القيم الأخلاقية في عالم الرواية تنهار معها اللغة السردية ، وتتحول من وسيلة تواصل إلى وسيلة تشويه أو تمويه كما نلاحظه في قوله " الابتهالات .. يا متولي يا متولي .. اشفع لي وخفف ألمي ... "¹⁶ .

لغة كل شخصية تختلف حسب طبقتها و خلفياتها الأخلاقية ، ففي المشهد السابق نلمس لغة الدجل والشعوذة الممزوجة بالدروشة ، ليكشف عن النفاق الأخلاقي للطبقات المتوسطة من خلالها "يخترق تخوم أكثر من جنس وحدود أكثر من فن ، وتتوق إلى أكثر من أفق فهي ذلك القلق الذي لا يهدأ إنه قلق الكتابة والإبداع"¹⁷ فندرك أن روايات أحمد مراد تستخدم اللغة ليس فقط لرواية القصة "فاللغة التي يراد بها جذب الانتباه إنما تحدث ذلك بفضل مافيهما من الانحراف"¹⁸ ، بل لتكون عالم أخلاقي منشط تتداخل فيه الذوات والخطابات والمواقف و يتحول فيه الكلام من وسيلة للتواصل إلى آلية لفضح التصدعات الأخلاقية .

4- التاريخ مرآة اجتماعية تعكس في الروايات :

يحتل الأدب التاريخي موقعا إشكاليا بين التوثيق و الخيال ، إذ لا يكتفي برواية الأحداث ، بل يعيد بناءها وفق رؤية كاتب معاصر ، لحظة الكتابة ، وفي رواية 1919 يذهب أحمد مراد إلى ما هو أبعد من استعادة مشهد ثوري ليقدم صورة بانورامية للمجتمع المصري في بداية القرن العشرين ، كما قال واصفا مصر "تأمل عبد القادر الصورة ..أردف :مأنا عارف .. مصر عاملة زي ملجأ الأيتام .. فيها من كل صنف لون"¹⁹ .

في رواية "1919" يعيد مراد كتابة فترة الثورة ضد الاحتلال البريطاني ، لكنه يفعل ذلك بأسلوب يحاكي الواقع المصري الحديث ، يوظف التاريخ ليقول إن الاستغلال و الطبقة و الهيمنة لم تتغير كثيرا ، بل أعادت تشكيل نفسها بأقنعة جديدة تكون بها "الكلمات في النص تعني فوق ما تعنيه من دلالات ظاهرة وهذا أمر طبيعي في كل الأعمال الأدبية ذات الصفة التخيلية المحكمة البناء"²⁰ .

يمكن القول أن أحمد مراد لا يكتب التاريخ من أجل الحنين أو البطولة ، بل يستخدمه ليكشف عن القهر الاجتماعي، و التناقضات البنيوية ، والصراعات الخفية التي صنعت ملامح مصر الحديثة ، وبهذا تصبح رواية 1919 نصا اجتماعيا بامتياز ، يعيد النظر في مفاهيم مختلفة مثل : الثورة ، والهوية ، والعدالة من منظور الإنسان العادي المهمل ، لا من خلال النخبة أو الزعامة .

خاتمة:

تكشف القراءة السوسيولوجية لأعمال أحمد مراد عن حضور سردي مركزي للنزعة الاجتماعية ، وهي نزعة لا تظهر بوصفها مجرد خلفية للأحداث بل تعد أداة رئيسية في بناء المعنى ، وطرح الأسئلة و توليد التواتر داخل النص فمراد يكتب من قلب المجتمع المصري ، ويتعامل مع رواياته باعتبارها مساحات لعرض التناقضات الطبقية وكشف عن العنف السلطة ، و تشريح أمراض الفرد المعاصر ، لاسيما في ظل منظومة اجتماعية مأزومة .

أظهرت التحليلات أن أعمال أحمد مراد - رغم تصنيفها ضمن أدب التشويق أو البوليسي - تخالف النمطية من خلال توظيف تقنيات سردية حديثة "كالاسترجاع ، وتعدد الأصوات ، والانفتاح على الذات" بل تعد أداة فنية تكشف أعصاب المجتمع وتفضح علاقات القهر و التمييز الطبقي ، فنصوصه تقدم صورة مركبة عن واقع مليء بالتفاوت و الفساد و الاغتراب ، تعرض كلها من خلال سردية محكمة توظف التشويق لتسليط الضوء على خفايا الواقع المصري المعاصر ، وقد تمثلت أبرز ملامح النزعة الاجتماعية في :

- تصوير الفارق الطبقي في رواية "تراب الماس" بوصفه بنية عميقة تولد الجريمة و الفساد .

- تجسيد أزمة الهوية و الضياع النفسي في رواية "الفيل الأزرق" كتمثيل رمزي للانسان المعاصر .

- استدعاء التاريخ الشعبي في رواية "1919" لابراز المهمشين و إعادة الاعتبار للسرد من أسفل .

إن النزعة الاجتماعية في روايات مراد ليست مباشرة أو خطابية ، بل مبثوثة في التفاصيل السردية ، وفي الحوارات و المكان و الرمز ، يمكن القول أنه يمارس كتابة تشبكي مع الواقع من داخل الحكاية وتقدم نموذجاً معاصراً للرواية الاجتماعية ، أكثر من متغيرات العصر ، ولعل هذه القراءة تفتح الباب لمقاربات نقدية جديدة تربط بين الأدب و الوعي الاجتماعي ، وتعيد الاعتبار لقيمة السرد في فهم مجتمعاتنا .

تبين أن أحمد مراد ، إن لم يصرح بموقف أيديولوجي مباشر ، فإنه ينتج خطاباً نقدياً مضمناً داخل البنية السردية يعيد من خلاله مساءلة السلطة ، وهذا ما يجعل أعماله تتجاوز حدود الترفيه ، وتندرج ضمن مشروع سردي يسهم في بلورة وعي نقدي بالقضايا الاجتماعية .

وعليه يمكن القول إن أحمد مراد يشكل في أعماله ، نموذجاً للرواية المعاصرة التي تعيد تعريف العلاقة بين الأدب و المجتمع حيث تتحول الرواية من وسيلة للهروب إلى مرآة فاعلة قادرة على زعزعة الصور النمطية وتفكيك أنساق الهيمنة .

الهوامش:

- 1 - أحمد مراد ، تراب الماس ، دار الشروق القاهرة، مصر، ط25، 2020، ص 46 .
- 2 - محفوظ عبد اللطيف ، وظيفة الوصف في الرواية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2009 ، ص 23 .
- 3 - Todorov Tzevetan , Symoliseme etinterpretation , éd du sevil , paris , p 144
- 4- خوسيه ماريا بوتويلو ايفانكوس ، نظرية اللغة الأدبية ، تر حامد أبو أحمد ، دار غريب ، مصر ، دط ، ص 282 .
- 5 - أحمد مراد ، فيرتيجو ، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط13، ص 36 .
- هيام شعبان ، السرد الروائي في أعمال ابراهيم نصر الله ، دار الكندي ، اريد ، عمان ، ط1 ، 2004 ، ص 214 .
- 7 - عبد الرحمن منيف ، رحلة ضوء ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،و المركز الثقافي العربي للنشر و التوزيع ،المملكة المغربية،بيروت،2001 ، ص 20 .
- 8- أحمد مراد ، الفيل الأزرق ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط 18 ، ص 203 .
- 9 - ابراهيم عباس ، تقنيات البنية السردية في الرواية المغربية (دراسة في بنية الشكل)، المنشورات الوطنية للاتصال ، دط ، 2002 ، ص 157 .
- 10 - أحمد مراد ، تراب الماس ، ص 243 .
- 11- سعيد بقطين ، افتتاح النص الروائي (النص ، السياق)، المركز الثقافي العربي ،بيروت، الدار البيضاء، ط1989، ص 32 .
- 12- حسين خمري ، فضاء المتخيل ، مقاربات في الرواية ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2002 ، ص 46 .
- 13- محمد برادة ، أسئلة الرواية و أسئلة النقد ، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ط1، 1996، ص 37 .
- 14 - Claude lévi-strauss , Anthropologie structural deux , librairie plon , paris , 1973 , p 162 .
- 15 - محمد برادة ، أسئلة الرواية و أسئلة النقد ، ص 33 .
- 16 - أحمد مراد ، الفيل الأزرق ، ص 372 .
- 17 - بوشوشة بن جمعة ، التجريب وارتخالات السرد الروائي المغربي، المطبعة المغربية ، تونس ، ط1 ، 2003 ، ص 75 .
- 18 - أحمد محمد ويس ، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان ، بيروت، ط1، 2005 ، ص 163 .
- 19 - أحمد مراد ، 1919 ، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط14، 2021، ص 186 .
- 20 - حميد حميداني ، القراءة وتوليد الدلالة ، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص241.